رمضان كريم

إعداد: ليلى الشافعي

معارف ولطائف

خالد الخراز

الوفاء بالوعد

قال تعالى: (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا)[مريم: 54ـ 55].

صفات أربع أطلقها الله عز وجل على نبيه إسماعيل عليه السلام:

الأولى: أنه كان صادق الوعد، والثانية: أنه كان رسولا نبيا أنزل الله عليه وحيه، وأرسله لهداية خلقه، والثالثة: أنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وأخيرا: أنه كان عند ربه مرضيا، فلماذا قدم صفة صدق الوعد على ذكر الرسالة والنبوة، وأمر أهله بالصلاة والزكاة؟ والجواب: لأن صدق الوعد دليل على الإخلاص، فمن لم يكن صادق الوعد فهو كاذب، وإخلاف الوعد من صفات المنافقين، وأولئك لا إخلاص فيما يقومون به من عبادات، فلذلك قدمت هذه الخصلة الكريمة، لأنها ترسخ في قلب المؤمن فتجعله يؤدي الصلاة في وقتها، والزكاة كذلك وجميع ما فرض عليه من عبادات، وكل ما أوجبه على نفسه من وعود بالخير عملا بهذه الصفة العظيمة المتأصلة فيه.

وصدق الوعد خلق عظيم من أخلاق الإسلام، عز وجوده، ويسهل على الإنسان أن يعد، ولكن إنجاز الوعد قد يصعب على كثير من الناس، ولكن المؤمن يأبى إلا أن يكون مع صدق الوعد، وقد مدح الله تعالى به المتقين الصادقين، كما في قول الله سبحانه: (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون)[المؤمنون: 1ـ9].

والشاهد من الآيات قبل الأخيرة والتي نجدها متقدمة على صفة المحافظة على الصلاة، لأن صدق الوعد من لوازمها، والجامع بينهما حلول الوقت، فالمسلم إذا واعد أحدا أنجز له ما وعد به، وقد كان رسول الله ﷺ يعتني بالكلمة التي يقولها، ويحترم الكلمة التي يسمعها، وكان ذلك من علامات الكمال فيه حتى قبل أن يرسل إلى الناس.

ولقد جاء الدين الإسلامي العظيم بجملة من الآداب الاجتماعية هي نسيج واحد ملتئم ومتماسك، لا يمكن الأخذ بطرف منه وترك سائره، بل لابد من التحلي به جملة وتفصيلا حتى يسود المجتمع ويرتقي في سلم المجد والعز. ومنها أدب الصدق بالمواعيد المضروبة وعدم التخلف عنها، إلا بعذر قاهر صحيح مقبول، حتى يطمئن الناس بعضهم إلى بعض، ويثق بعضهم بوعد بعضهم الآخر، وصدق الوعد من خلق النبيين والمرسلين، وضده-وهو الخلف- مذموم، وذلك من أخلاق المنافقين، إلا من عزم على الوفاء ومن له عذر منعه من الوفاء فهو أبعد من ذلك وإن بدر منه.

إن الالتزام بالمواعيد المضروبة، صفة من صفات الأنبياء والمرسلين، وخلق من أخلاق العلماء والدعاة المخلصين، وأدب من آداب الرجال الصادقين، فالالتزام بالمواعيد يحفظ الأوقات من الضياع، فتحصل المصالح، وتعم الفائدة، ويتصف صاحب الوفاء بصفة حميدة يحبه عليها الله والناس.

ولا يخفى أن التهاون بالمواعيد له أسباب كثيرة قد تؤدي ـ مجتمعة أو منفردة ـ إلى الإخلال بالمواعيد والتخلف عنها والتهاون بها، وبعض هذه الأسباب أخطر من بعض، لكنها كلها مؤشر على خلل في الشخصية لابد أن يتداركه المرء، فمن تلك الأسباب ضعف الالتزام بالأحكام الشرعية، وعدم المبالاة: وهذه صفة قائمة في بعض النفوس، حيث صار أصحابها لا يبالون بأمور كثيرة، ولا يرون أهميتها، ومن جملة تلك الأمور قضية الالتزام بالموعد، ولأن عدم المبالاة صارت صفة لبعض الناس فإنك تراهم لا يأبهون ولا يبالون أحضروا في الوقت أم لم يحضروا، أو أنك تراهم يتخلفون عن الحضور تماما ثم لا يتكلف الواحد منهم مشقة الاعتذار ولو بكلمة أو رسالة وهذا الصنف لا يعتمد عليه ولا ينبغي أن يعتمد عليه في شيء ذي بال فإنه ضائع مضياع، لم يرب التربية الإيمانية الجادة القوية، ولهذا سرى مثل عند من يخلف الوعد بمواعيد عرقوب، والذي أصبح مثلا بإخلاف الوعد وله قصة معلومة في كتب التاريخ والأدب، وكذلك من الأسباب عدم الالتفات إلى الدقائق أو إلى أجزاء الساعة: وهذا في الحقيقة جزء من السبب السابق-عدم المبالاة- إذ تجد الشخص لا يعد الدقائق أو أجزاء الساعة شيئا، فالموعد المضروب في الساعة السابعة والنصف لا يرى شيئا في تأخيره إلى الثامنة، والموعد المضروب في الساعة السابعة والربع يؤخره إلى السابعة والنصف أو الثامنة أيضا وهكذا، وكل ذلك نابع من عدم مبالاته.

ولا شك أن الآثار المترتبة على إخلاف المواعيد ليست قضية سهلة أو هينة حتى تجاوزها، بل هي مشكلة إيمانية تربوية اجتماعية ينبغي النظر في أسبابها والآثار الكبيرة التي تتركها في الأفراد والمجتمعات.فمن هذه الآثار السيئة فقد الثقة بمن يتخلف عن موعده وهذا أمر خطير إذا انتشر بين الناس أن فلانا ليس بجاد، ولا هو ممن يعتمد عليه، ولا ينبغي الالتزام معه بموعد مضروب، إذ نتيجة ذلك أن يعرض الناس عن هذا الشخص فلا يشارك في أمر ذي بال، كذلك عدم الثقة بما يضرب من مواعيد: وهذه مشكلة شائعة، إذ ينتشر بين الناس ألا سبيل إلى الحضور في الموعد المضروب فإذا لم يكن الموعد في الثامنة فلا بأس أن يكون في التاسعة أو العاشرة، ومن ذلك تفلت الجادين من الالتزام بمواعيد العابثين: فإذا رأى الشخص الجاد أن المجموعة التي التزمت بالموعد قد اعتادت أن تتخلف عنه وألا تعيره الاهتمام اللائق، فإنه قد ينصرف عن الالتزام معهم في أي موعد يضربونه، بل قد يعتذر عن عدم حضوره واستمراره مع تلك المجموعة، فإذا انسحب الشخص الجاد وبقي الضعاف، فهل يرجى لهذا العمل أي تقدم أو فائدة؟

لهذا لابد من علاج هذا المرض المنتشر ـ بإذن الله ـ أن تقضي على هذه الظاهرة كليا أو تخفف من آثارها تخفيفا كبيرا. فالمرء عندما يتربى على التربية الإيمانية الجادة يجد دافعا إيمانيا يدفعه للوفاء بالوعد، والمصارحة وعدم المجاملة: فإن مواجهة أولئك الذين يضيعون أوقات الآخرين، ولا يأبهون لأمر حتم لازم، لا تنفع معهم المجاملة، ولا يليق فيهم إلا المصارحة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة.

كما على القدوات الالتزام بالمواعيد المضروبة: ليس أنجع في حل هذه المشكلة ولا أعظم أثرا من أن يضرب القدوة المثل بنفسه، فيسارع في الحضور والالتزام بالموعد المضروب التزاما يغني عن أي كلام، ويقوم مقام توجيهات شفهية كثيرة.

ونعم قول الشاعر في هذا الخصوص:

إذا قلت في شيء نعم فأتمه
فإن نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا واسترح وترح بها
لئلا يقول الناس إنك كاذب

شهر الانتصارات

غزوة بدر الكبرى 2-2

معلم للدعاة والصالحين

وصل خبر خروج جيش المشركين إلى المسلمين، ولم يكن خروج المسلمين لقتال المشركين خيارا مطروحا في الأصل، بل كان الخروج من أجل الغنيمة بالقافلة. كما أن الأنصار في بيعة العقبة اشترطوا حماية النبي محمد ﷺ في المدينة فقط وتبرؤا من ذلك حتى دخوله اليهم في المدينة حيث قالوا له وقتها: يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فقام النبي محمد ﷺ باستشارة من معه، فتكلم كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب، ثم قام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون «ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ثم وجه النبي كلامه إلى الأنصار قائلا: أشيروا علي أيها الناس، فقال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟

فقال النبي محمد ﷺ: أجل

فقال سعد: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء. لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله.

فقال النبي محمد ﷺ: سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم أكمل بعدها المسلمون طريقهم من ذفران، فمروا بمنطقة تسمى الأصافر، ثم إلى بلد تسمى الدبة ثم جعلوا كثيبا عظيما كالجبل العظيم يسمى الحنان على يمينهم، ونزلوا قريبا من بدر.

وانطلق بعدها النبي محمد ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى وصلا إلى سفيان الضمري، أحد شيوخ العرب في المنطقة، فسأله النبي محمد ﷺ عن قريش، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الضمري: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال له: إذا أخبرتنا أخبرناك.

فقال الضمري: أذاك بذاك؟ ليجيبه محمد: نعم. فقال الضمري: فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، (وهو المكان الذي وصله المسلمون فعلا) وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش. فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقالا: نحن من ماء، ثم انطلقا فلما عادا إلى معسكر المسلمين، خرج علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، إلى ماء بدر فأسروا غلمان لقريش يحضرون الماء منهم أسلم، وهو غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار، وهو غلام بني العاص بن سعيد، فأعادوهم إلى معسكر المسلمين، وكان النبي محمد ﷺ يصلي، فاستجوبوهما فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فلم يصدقوهما وضربوهما. فأضطر الرجلان للكذب وقول انهما ملك لأبي سفيان، ليطمع المسلمون بأفدية فلا يضربوهم. فلما أنهى النبي محمد ﷺ صلاته قال لعلي وأصحابه: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا، والله إنهما لقريش أخبراني عن قريش؟ قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال لهما النبي محمد ﷺ: كم القوم؟ قالا: كثير قال: ما عدتهم؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يوما تسعا، ويوما عشرا، فقال: القوم فيما بين التسع مائة والألف. ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود. فخرج النبي محمد ﷺ إلى المسلمين وقال لهم: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها. هروب أبو سفيان بالقافلة وطلبه من قريش العودة استطاعت «العيون الإسلامية» أن ترصد عملية هروب العير، وأرسل أبو سفيان إلى قريش أن القافلة قد نجت، ولا حاجة لهم في قتال أهل يثرب، لكن أبا جهل أبى إلا القتال، وقال قولته المشهورة: «لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم ثلاثا ننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبدا»، لكن «بني زهرة» لم تستجب لهذه الدعوة فرجعت ولم تقاتل.

المعركة

وصل المشركون إلى بدر ونزلوا العدوة القصوى، أما المسلمون فنزلوا بالعدوة الدنيا. وقام المسلمون ببناء عريش للرسول ﷺ على ربوة، وأخذ لسانه يلهج بالدعاء قائلا: «اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني؟ اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فلن تعبد في الأرض». وسقط رداؤه عن منكبيه، فقال له أبو بكر: «يا رسول الله، إن الله منجز ما وعدك».

قام المسلمون بردم آبار بدر بعد أن استولوا عليها وشربوا منها ـ حتى لا يتمكن المشركون من الشرب منها. وقبل أن تبدأ المعركة، تقدم ثلاثة من رجال قريش وهم: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، وولده الوليد يطلبون من يبارزهم من المسلمين. فتقدم ثلاثة من الأنصار، فصرخوا بهم قائلين: «يا محمد، أخرج إلينا نظراءنا من قومنا من بني عمنا» فقدم الرسول ﷺ عبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب. فبارز حمزة شيبة فقتله، وبارز علي الوليد فقتله، وبارز عبيدة عتبة فجرحا بعضهما، فهجم حمزة وعلي على عتبة فقتلاه. واشتدت رحى الحرب، وحمي الوطيس. وقد ذكر في القرآن أن الله أمد جيش المسلمين بالملائكة: (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) وهكذا انتهت المعركة بنصر المسلمين وهزيمة المشركين، حيث قتل من المشركين سبعون وأسر منهم سبعون آخرون. أما شهداء المسلمين فكانوا أربعة عشر شهيدا. ولقد رمى المسلمون جثث المشركين في البئر، أما الأسرى فقد أخذ الرسول أربعة آلاف درهم عن كل أسير امتثالا لمشورة أبي بكر، أما من كان لا يملك الفداء فقد أعطاه عشرة من غلمان المسلمين يعلمهم القراءة والكتابة.

همسات رمضانية

د.وليد العلي
إمام وخطيب المسجد الكبير

إن تبري العبد من حوله وقوته، والتجائه إلى حول الله وقوته: يتضمن إقراره بأنه لا تحول له من حال إلى حال، ولا قوة له على القيام بأمر من الأمور إلا بالله تبارك وتعالى، فهو المعين والموفق والمسدد، ويعرف هذا المعنى بالحوقلة، وهو قول العبد: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فيعتقد العبد المسلم أنه لا حول له على العمل بالطاعة، ولا قوة له على ترك المعصية إلا بالله تبارك وتعالى، ويعتقد أنه لا حول له عن المعصية فيعصم منها، ولا قوة على الطاعة فيعان عليها إلا بالله تبارك وتعالى، ويعتقد أنه لا حول في دفع الشر، ولا قوة في تحصيل الخير إلا بالله تبارك وتعالى. وهذه الحوقلة كنز من كنوز الجنة، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعلنا لا نصعد شرفا ولا نعلو شرفا ولا نهبط في واد إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، فقال النبي ﷺ: أيها الناس أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائبا، ولكن تدعون سميعا قريبا. ثم أتى علي النبي ﷺ وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا بالله. فقال: يا عبدالله بن قيس، قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة.

وهذه الحوقلة غرس من غراس الجنة، فقد أخرج أحمد في مسنده والترمذي في جامعه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «إن النبي ﷺ ليلة أسري به مر على إبراهيم عليه السلام فقال: يا محمد، مر أمتك أن يكثروا من غراس الجنة. قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله».

وهذه الحوقلة باب من أبواب الجنة، فقد أخرج أحمد في مسنده والترمذي في جامعه عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما أن أباه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه فقال: «مر بي النبي ﷺ وقد صليت، فضربني برجله وقال: ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت: بلى. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله».

فهذه بعض الفضائل التي خصت بها هذه الحوقلة، كما أنه قد وردت في حقها ـ مقرونة بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ـ بعض الفضائل، مثل: تكفير الذنوب، وأنها من الباقيات الصالحات، وأن الله تبارك وتعالى يصدق قائلها. فهذه الحوقلة تتضمن الإسلام والاستسلام، وتتضمن التبرؤ من الحول والقوة إلا بالله تبارك وتعالى. فكلمة «لا حول ولا قوة إلا بالله» تتضمن الإخلاص لله تبارك وتعالى في الاستعانة، كما أن كلمة «لا إله إلا الله» تتضمن الإخلاص لله تبارك وتعالى في العبادة، والعبادة والاستعانة هما زبدة فاتحة الكتاب (إياك نعبد وإياك نستعين). فالإخلاص في العبادة يتضمن تبرؤ العبد من الشرك، والإخلاص في الاستعانة يتضمن تبرؤ العبد من الحول والقوة، كما أن الإخلاص في العبادة يتضمن الإقرار بتوحيد الألوهية، والإخلاص في الاستعانة يتضمن الإقرار بتوحيد الربوبية.

وهذه الحوقلة تقال عند الاستعانة بالله تبارك وتعالى في أمر من الأمور، لذا شرع لنا عند إجابة المؤذن إذا قال: حي على الصلاة، حي على الفلاح، أن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله.

كما تقال هذه الحوقلة عند من يخاف العين على شيء، كما تقال هذه الحوقلة عند إرادة الخروج من البيت. فهذه جملة من المواطن التي شرع للعبد أن يلهج لسانه بالحوقلة، ومن هنا يتضح أن هذه الحوقلة لا تقال في موطن المصيبة، وإنما يشرع في المصيبة الاسترجاع، وهو قول العبد: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقول الحوقلة عند المصيبة من الأخطاء الشائعة عند كثير من الناس، كما أن من الأخطاء الشائعة عند كثير من الناس: اختصار الحوقلة وقولهم: لا حول لله، وهذا اختصار مخل بمبناها، كما أنه اختصار مخل بمعناها. نسأل الله تبارك وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

من روائع الخط العربي

طلب

فال رسول الله صلى الله عليه وسلم

العلم طاعة وعبادة

لوحة الفنان المغربي جمال بنسعيد، ويسمى هذا الشكل من اللوحات بالقطعة، وهي عبارة عن قطعة ورقية تحوي زوجين من الخطوط، يرتبط طرف الواحد فيها بالآخر، فهناك الثلث والنسخ والمحقق والديواني والتوقيع والرقاع وظهرت في الآونة الأخيرة قطع بخط الثلث المغربي المبسوط، كما يظهر في هذه اللوحة.